

دور المدرسة القرآنية في تربية و تحضير الطفل للتلمذ في المرحلة الابتدائية

د/ ميلودي حسينة

[أستاذة محاضرة أ" جامعة البويرة](mailto:zeg.radia4@gmail.com)

ملخص:

تغرس المدرسة القرآنية في نفوس الأطفال والتلاميذ، المبادئ والقيم الاجتماعية التي تساهم في بناء شخصيتهم لاحقا، وتساعدهم في التطلع إلى المثل العليا والأهداف الكبرى في الحياة، حيث يستمد المعلم القرآني برامجه في الحلقات التربوية من مجموع ما تفاصيل به ثقافة الأمة، ومما هو متوفّر من معرفة يعتقد أنه أساسى في تكوين من يشرف على تربيته. وقد جاء القرآن الكريم ليربّي أمة، وينشئ مجتمعاً ويقيم نظاماً، فال التربية تحتاج إلى زمن وإلى تأثير وانفعال بالكلمة، وإلى حركة تترجم التأثير والانفعال إلى واقع. ومن هنا يظهر جلياً ذلك الدور التربوي الذي تتحمّله المدارس والأقسام القرآنية من حيث الأهداف والغايات التربوية، والأطراف اللازم توفرها وتضافرها لإنجاح هذا الدور المهم. وفي هذا المقال نركز على الدور التربوي والتعليمي الذي توفره الأقسام والمدارس القرآنية، وما هي الأساليب والبرامج التربوية في الحلقات القرآنية، التي تساهم في تطوير الفكر المعرفي والتربوي عند التلميذ وتهيئة للتعلم الجيد في المدرسة.

الكلمات المفتاحية: المدرسة القرآنية - الكتاب - المدارس الملحقة بالمسجد - التربية - التلميذ - الطفل - التعليم القرآني.

Abstract :

The Koranic school instills in the hearts of children and pupils the social principles and values that contribute to building their personality later, and helps them to aspire to the highest ideals and goals in life. The Qur'anic teacher derives his programs in educational seminars from the total of the nation's culture. It is believed to be essential in the composition of the supervisors of his upbringing. The Quran came to satisfy a nation, create a society and establish a system. Education requires time, influence and emotion, and a movement that translates influence and emotion into reality. Hence, it is clear that the educational role of schools and sections of Quran in terms of goals and educational goals, and the parties needed to provide and synergy for the success of this important role.

In this article, we focus on the educational and educational role provided by Quranic departments and schools, and what educational methods and programs are in the Quranic workshops, which contribute to the development of the cognitive and educational thought of the student and prepare him for good learning in the school.

Keywords: Quranic school - book - schools attached to the mosque - education - student - the child - Quranic education.

تعتبر المدرسة القرآنية واحدة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية، و نسقا فرعيا داخل النسق التربوي العام، لها علاقة مع الأنساق الفرعية الأخرى كالمدرسة والأسرة، حيث تلعب دور مهم في تربية الطفل وتوسيع معارفه حول تعاليم الدين الإسلامي، كما أنها تعد أقرب فضاء تربوي ديني ومعرفي موازي للتعليم التحضيري في المدارس الوطنية. وفي البداية كان المكان السائد هو الكتاب قبل أن يتطور و يتحول إلى مدرسة قرآنية، وفي الكتاب لم تكن هناك سن محددة لالتحاق الأطفال به، فمنهم من يلتحق في سن الرابعة، و اغلبهم بين 5 و 6 سنوات و حتى 10 سنوات، لكن في الوقت الحالي تطورت طرق التعليم في المدارس القرآنية، حيث كانت في الماضي تستعمل وسائل بسيطة كالحفظ على الألواح والكتابة بالحبر أو استعمال الصالصال، لكن في الوقت الحالي أصبح التعليم القرآني منضما من خلال استعمال طرق ووسائل وأساليب بيداغوجية حديثة.

و المعروف أن طريقة التعليم في الكتاب تعتمد على التلقين و الحفظ بالتكرار، وتعرف هذه الطريقة في علوم التربية الحديثة، بالتعليم اللفظي الذي يرتكز علي دور الذاكرة. (صلاح ذياب الهندي، 1990)

و بالتالي فهي مهمة جدا لتنمية هذه الوظيفة المعرفية عند الطفل، الذي سيكون تلميذا لاحقاً وتساعده على سرعة تخزين المعلومات المكتسبة في المدرسة. و كلما يحفظ الطفل القرآن الكريم كله أو بعضه، يرتقي تعليمه لمبادئ اللغة العربية والشعر و التاريخ الإسلامي وحتى مبادئ الحساب. أما بالنسبة للقراءة والكتابة كانتا مستعملتان في تحفيظ القرآن الكريم للأطفال لكنهما لم تقصدوا لذاهما، وإنما كانتا تتخذان وسيلة فقط لكي يستطيع الأطفال قراءة القرآن الكريم من المصحف وكتابته في اللوح دون أخطاء إملائية. (رابع تركي، 1980)

ومع مرور السنوات اهتمت الدولة بال التربية الدينية والإسلامية للطفل، حيث ظهرت المدرسة القرآنية بصفة قانونية في المرسوم التنفيذي الجزائري رقم 1-81 الصادر من طرف وزارة الشؤون الدينية في سنة 1991، الذي نص على ضرورة إتاحة الفرصة للمدرسة القرآنية، للاهتمام بالأطفال في سن ما قبل المدرسة، من أجل تحقيق مجموعة من الأهداف التربوية و التعليمية، و التي تقوم بتكوين الوعي لدى الناشئين، و تغرس في أنفسهم ضرورة التطلع إلى المثل الدينية العليا. و لكي نصل إلى الثمرة المرجوة، لابد أن تتكافف و تتضاد أربعة أطراف يسند بعضها بعضا و هي : " إدارة الحلقة أو المدرسة القرآنية، المعلم، الطفل أو التلميذ و والوالدين " أربعة أطراف لها بصماتها المؤثرة في إنجاح الدور التربوي للحلقة القرآنية، فلا بد أن تسعى إدارة المدرسة أو القسم القرآني إلى اختيار المعلم الناجح، الذي يجمع بين الكم العلمي و الحس التربوي، و أن يكون الإشراف على الحلقة متكاملا في كل النواحي، من الناحية الفنية و الشكلية وأيضا من الناحية التربوية والعلمية.

ففي دراسة للدكتور "عبد الباسط متولي" حول أثر تعلم القرآن والفقه على مستوى النمو اللغوي للطفل يقول: "للبيئة الثقافية للفرد دور أساسي في خلق جو من التفاعل اللغوي والإيجابي، من خلال إتاحة الفرص المناسبة لتعلم اللغة وممارستها، على النحو الذي يناسب مستوى نضج الطفل ويساعده على النمو العقلي والانفعالي، كما يتشكل ذلك المناخ الثقافي الفعال من قدرة الأسرة على التفاعل اللغوي المثمر وتوجيه الطفل إلى هذا التفاعل، كإلحاقه بجمعيات تحفيظ القرآن (الكتاتيب) التي تحضر الطفل ليكون ذاكرًا لأكبر تراث لغوي، ومحافظًا على ذاته من خلال ذلك التذكر الوعي لآياته. حيث يقول الحق -تبارك وتعالى-: **قَدْ جَاءَتُكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًىٰ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ** (يونس: من الآية 57).

ومن هذا المنطلق أصبحت الكثير من العائلات الجزائرية، تسعى لوضع أبنائها في المدارس القرانية والكتاتيب أو الأقسام الملحقة بالمساجد، حيث ترى في هذه الأماكن ملجأً آمناً للت�크ف ورعاية أبنائهم، والتي تلعب دوراً كبيراً في ترسيخ وبناء شخصية الطفل، من خلال تأثيره بأساليب التعامل والتربية من طرف المعلمين والمربين في الحلقات القرانية، والتي كانت في فترة غير بعيدة مهتمة عند فئة عريضة من أفراد المجتمع، إذ كانوا يرونها ككتاتيب مقتصرة على تعليم وحفظ القرآن فقط. لكن النتائج الملؤمة لبعض المؤسسات الدينية واجتها في تغيير الصورة القديمة عنها، غيرت تفكير المواطنين وجعلتهم يقبلون عليها بشكل واسع، على الرغم من الانتشار الكثيف لدور الحضانة العصرية، إلا أن الإقبال على المدارس القرانية بز لحد كبير في الآونة الأخيرة من طرف المواطنين في تربية وتعليم أبنائهم، وما تقوم به من إرشاد ديني وتعليم اللغة العربية، إضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم وترسيخ معلم الدين الإسلامي الحنيف. وعلى الرغم من بساطتها فإنها تؤدي دوراً كبيراً في التكوين وفي التعبئة الروحية والنفسية لتكوين شخصية الفرد، حيث أكد لنا بعض الشيوخ ومعلمون في المدارس والأقسام القرانية بأنها أخرجت جيلاً من حفظة القرآن إلى جانب تفوقهم في مشوارهم الدراسي، وأن المهام الرئيسية للمدرسة هي التربية الدينية والخلقية للأطفال قبل تحفيظهم القرآن الكريم، وهذا ما أكدناه لبعض الأولياء بأنهم يفضلون المدرسة القرانية عوض دور الحضانة، لما تقوم به المدرسة القرانية من تهذيب وتعليم الأطفال أصول دينهم، خاصة وأن بعض دور الحضانة تعتمد على اللعب والغناء واللغات الأجنبية التي أثرت على شخصية أبنائهم.

وفي هذا السياق أشاد "الشيخ بن حليمة" بالدور الكبير الذي تقوم به المدرسة القرانية بحسين داي في العاصمة، وبالجهد الكبير للمربين في تربية الأطفال دون السن القانونية للتمدرس، على الرغم من وجود بعض دور الحضانة التي لها نفس مناهج المدرسة، إلا أن معظمها ينقصها تعليم براعمها الأساليب الدينية الصحيحة التي تلعب دوراً هاماً في بناء

شخصيّتهم وفي مشوارهم الدراسي. ودعا الشّيخ بن حليمة وسائل الإعلام المختلفة للإسهام في حملات تحسينية بخطورة المناهج الدخيلة على ثقافتنا و ديننا".

و من هذا المنطلق سوف نقوم بعرض أهم الطرق التربوية و التدريسية في المدارس والأقسام القرآنية، والدور التربوي والتعليمي لها، وكيف تساعد الطفل على تنمية مهاراته المعرفية واللغوية؟ التي تشكل عنده ركيزة للتعلم الأكاديمي لاحقا.

1- تعريف المدرسة القرآنية:

هي مدرسة تابعة لوزارة الشؤون الدينية، يلتحق بها الأطفال من مختلف الأعمار، وحتى الراشدين وتتبادر في مدارس التعليم وتدريس العلوم الشرعية، كما تركز على فهم معاني الألفاظ القرآنية. (وهيبة العايب ،2005)
وفي السنوات القليلة الماضية، ظهرت بقوة كفضاء يهتم بفئة الأطفال دون سن التمدرس القانوني، منهم البنين والبنات الراغبين في حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ الدين الإسلامي الحنيف. (ابن جاب الله النذير، و آخرون،)
وهي عبارة عن مدارس منفصلة قائمة بذاتها، لها برنامج تعليمي خاص، و يمكن أن تكون عبارة عن أقسام تابعة للمساجد تنشأ وتسيرها الوزارة المكلفة بالشؤون الدينية. فبالنسبة للمدارس المستقلة هي ليست كثيرة، أما تلك الملحوظة بالمساجد فهي كثيرة، حيث تكون على شكل حجرة أو حجرتين مفتوحتين الواحدة على الأخرى، فنجد منها ما هو مجهر وأخرى تكتفي بفرش الزرابي وسبورات صغيرة الحجم، وهي النوع السائد بكثرة في المساجد، و ذلك بسبب ضيق الأقسام و كثرة الأطفال.

2- المعلم (المربى) في المدرسة القرآنية:

هو موظف في قطاع الشؤون الدينية، يكون حافظاً للقرآن الكريم و متقدماً لأحكام التجويد، أما بالنسبة لتحصيله الدراسي فهو غير محدد بمستوى معين. يمكن أن يكون المعلم مؤذن حافظ للقرآن الكريم، و هنا تأخذ بعين الاعتبار أقدميته في هذه الوظيفة. من مهامه، تعليم القرآن الكريم للصغار و الكبار، و تعليم المبادئ الأساسية لفقه العبادات، بالإضافة إلى تعليم أساس القراءة و الكتابة.

معلم القرآن الكريم هو مربى وقدوة للطفل، لهذا يجب أن يهتم بسلوكه القويم، وحسن سنته، وأن يعمل على ترسیخ صورة بصرية إدراكية للرجل الفاضل في ذهن الطفل. خاصة وأن الطفل لا زال صغير السن، وفي مرحلة الإدراك الحسي المجرد من التعميم، وبالتالي فإنه يتعلم بالتقليد أو القدوة التي يأخذها من الوالدين أولاً ثم من المعلم أو المربى ثانياً.
فمربى القرآن الكريم، قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خيركم من تعلم القرآن و عمله "، أقول: نأمل أن بتكرار رؤية هؤلاء الفضلاء الذين نرجو أن يكونوا كثيراً في المدرسة القرآنية، تتكون في مخيّلة الطفل صورة واضحة عن القدوة التي يجب أن يتبعها و يحترمها.

ويلجأ المعلم القرآني إلى أنجب التلاميذ وأكثراهم حفظاً للقرآن الكريم، كي يساعد في حصص التسميع لزملائه الباقيين، حيث يسمى هذا التلميذ بالمؤدب. وهو بمثابة كبار الصبية النبهين و الفطين.

أما بالنسبة لتجهيز وتمويل الأقسام والمدارس القرآنية يأتي من طرق مختلفة منها: ما تقدمه المؤسسات الخيرية وتبرعات الأفراد خاصة أولياء الأطفال من أموال وتجهيزات مادية مختلفة، وما يجمع من الزكاة. زد على ذلك ما تقدمه الدولة من مساعدات مالية وتجهيزات مادية.

-3 البرنامج التعليمي المقدم في المدرسة القرآنية:

تشابه البرامج من حيث المحتوى في اغلب المدارس القرآنية، لكنها تتعلق بالمعلم أكثر مما تتعلق بالمدرسة أو الكتاب، لأن لكل معلم طريقته في إعداد البرنامج وتطبيقه مع الأطفال حيث نجد منها:

- تحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ وأسس الدين الإسلامي.
- تعليم مبادئ القراءة والكتابة من رسم الحروف ونطقها بطريقة سليمة.
- تحفيظ بعض الأدعية والتدريب على بعض الآداب الحميدة.
- المحافظة على الإطار العام للشخصية والهوية الوطنية، وذلك بالحفظ على أهم مقومات البقاء والاستمرارية للثقافة والشخصية الوطنية الجزائرية. (مصطفى زائد، 1986)

وهذه البرامج المقدمة تساهم في زيادة قابلية التلاميذ على الحفظ والمراجعة لكتاب الله تعالى، وتعمل على تحسين المستوى المعرفي لهم، وترغيمهم في الذهاب إلى المدرسة القرآنية والكتاب وبذل المزيد من الاجتهد. كما أن البرامج والأنشطة التربوية تحقق أهدافاً في المجال المعرفي والوجوداني النفسي، فهي وسيلة فعالة للتربية الاجتماعية والخلقية، واللغوية، والدينية. وهناك أساليب تربوية وبرامج داخل المدارس والحلقات القرآنية وهي كثيرة جداً مثل:

1-3 البرامج التعبدية: الهدف منها توعية الأطفال والتلاميذ، و تشجيعهم على المحافظة على أداء الصلوات المفروضة في المسجد مع الجماعة، والقيام ببعض التواوفل، مثل تشجيعهم على صيام الاثنين والخميس، أداء ركعتي الضحى ... الخ.

2-3 البرامج الثقافية: مثل المسابقات القرآنية سواء في الحفظ أو في علوم القرآن، وكذلك المسابقات والأسئلة الثقافية، والكتابة في بعض الموضوعات المتعلقة بالقرآن والأخلاق والأدب ثم يلقى التلميذ على زملائه ويتم مناقشتها جماعيا. بالإضافة إلى مسابقات في الخطابة، السيرة النبوية، الفقه والتفسير. (بوفلجة، غياب، 1984)

3-3 البرامج الاجتماعية: من البرامج الاجتماعية المعروفة، القيام برحالة (نصف يوم) بين فينة وأخرى، يكون فيها بعض الفوائد و البرامج التربوية النافعة، وكذلك زيارة الأماكن التاريخية و الجغرافية المختلفة، زيارة ميدانية لأحد العلماء تكون خاصة بالمتميزين في دروسهم و حلقاتهم.

4- النشاطات التعليمية الأكاديمية المقدمة في المدرسة القرآنية والكتاب:

2-4 النشاط اللغوي: يساعد النشاط اللغوي على تعليم التلميذ الحروف الهجائية، من خلال تقديم الحرف على السبورة و تكرار نطقه فردياً و جماعياً، حيث يحقق هذا النشاط عدّة أهداف منها:

- زيادة رصيد الطفل اللغوي من حيث المفردات السليمة و الصحيحة من حيث المعنى.
- القدرة على التحاور و التواصل و التعبير التلقائي، من خلال القصص و القدرة على السرد.
- تحسين الطفل بأهمية نشاط القراءة، و تعويذه على سماع الأصوات والنطق بها في تسلسل زمني.
- إدراك الطفل لحدود الكلمة و شكلها العام، وإشعاره بأن كل كلمة مكتوبة تمثل كلمتين منطوقتين ولها معنى.
- التقليل من الالتباس في تحديد الحروف المتشابهة الرسم مثل: (ج-ح-خ) و صوتاً مثل (ظ-ض).
- إكساب الطفل رصيد لغوي يساعد على ممارسة القراءة الحقيقية لاحقاً (الوثيقة التربوية المرجعية للتعليم التحضيري، 1990)

3-4 النشاط الكتابي: يساعد النشاط الكتابي من خلال تكراره على:

- توفر الدقة في النقل ورسم أشكال الحروف و التمييز بينها، احترام انسياط الحروف و الكلمات على السطر، التعود على الكتابة من اليمين إلى اليسار.
- مراعاة التنقيط حيث يركز المعلم في المدرسة القرآنية والأقسام التابعة للمساجد، على تدريب الأطفال على كتابة الحروف بنطاقها كصوت، ومع ما يميزها من نقاط، لأن المعلم الباء نقطة من التحت، التاء نقطتين من فوق و هكذا.

4-4 النشاط الديني: عند ممارسة التلميذ لحفظ القرآن الكريم، فإنه يعتمد على تكرار السورة شفهياً دون كتابتها، إذا لم يكن اكتسب بعد الكتابة أو عن طريق كتابتها على اللوح، وتكرارها عدة مرات حتى الوصول إلى الحفظ. كما يتم من خلال هذا النشاط، تعليم الطفل أو التلميذ مجموعة من الأدعية والأحاديث التي يعمل بها في حياته اليومية مثل: دعاء دخول الخلاء، الدعاء للمريض، تشميّت العاطس، الاستئذان. هذا ما يساعد الطفل أو التلميذ في ترسیخ و تثبيت ممارساته لهذه الأدعية في حياته اليومية.

5-4 النشاط الفني (الترفيهي): يقتصر على تحفيظ بعض الأناشيد الدينية، أو ما يسمى بـ(السمع) عن طريق الحفظ، والتردد الشفهي، وإتقان مخاجح الحروف وحركات الوزن والإيقاع.

كل الأنشطة السابقة الذكر، في المدرسة القرآنية تعمل على تهيئة الطفل وتحضيره بطريقة جيدة للدخول المدرسي من خلال اكتسابه لمجموعة من القوانيين والمبادئ المعمول بها في المدرسة وهي كالتالي:

- تدريب الطفل للبقاء أطول مدة جالسا من خلال حرص حفظ القرآن الكريم، مع مراعاة أن المدة لا تكون طويلة جداً.

- تنشيط قدرة الطفل على التركيز والانتباه، وتنمية ذاكرته وقدرته على تخزين المادة المحفوظة.

- تنمية قدرة التلميذ على الكتابة من خلال نشاط الخط، الذي يعد من الأنشطة الرئيسية لأنه يعتمد على تحريك عضلات اليد والأصابع، وبالتالي تنمية الحركة الدقيقة وزيادة قدرته على التحكم في مسك السيالة أو القلم.

- تنمي عند الطفل الروح الجماعية والعمل الجماعي، وترسيخ روح المشاركة والوحدة والتضامن وتنمية الثقة بالنفس. (محمد سويق، 1980)

- غرس روح التنافس بين التلاميذ، كون هذه المدارس تعتمد على تحفيظ القرآن الكريم وبالتالي تظهر المثابرة والجد، وهذا للمكانة التي يحظى بها حافظ القرآن في المجتمع الجزائري وما تولده من فخر وعز للأولئك.

5- طرق تدريس القرآن الكريم في المدارس القرآنية والكتاتيب: تعلم الطرق المختلفة لتدريس القرآن الكريم، على تحسين المستوى اللغوي عامه، والقراءة خاصة عند الطفل أو التلميذ ومن بين هذه الطرق ذكر:

1-5 الطريقة الجماعية: تمثل هذه الطريقة في تحديد قدر معين من القرآن الكريم، يتم تلاوته من طرف المعلم أولاً، ثم من طرف التلميذ الواحد تلوى الآخر، حتى الوصول إلى حفظ هذا الجزء من طرف كل أعضاء المجموعة، وفيما بعد يكلفون بتسميعه للمعلم. حيث تساعده هذه الطريقة بطيء الحفظ والمهملين وتدفعهم إلى مسيرة زملائهم. ولا يتم الانتقال إلى جزء آخر من القرآن حتى يتم الحفظ من طرف جميع التلاميذ في المجموعة.

2- الطريقة الفردية: يقوم المعلم القرآني في هذه الطريقة، بفتح المجال أمام الطلبة للتنافس وتلاوة القرآن، حيث يحفظ التلاميذ كل حسب إمكانياته وقدراته على الاستيعاب والتخزين، وذلك تحت إشراف المدرس. حيث تسمح هذه الطريقة لنذوي القدرات الجيدة والمجتهدین بالتقدم والنجاح والانتقال إلى أجزاء أخرى من القرآن الكريم.

3-5 طريقة القراءة الترديدية: هي تكرار الأطفال أو التلاميذ خلف القارئ، و المقاطع التي يسمعونها بصوت واضح،

حيث تساعد هذه الطريقة على:

- تحسين النطق وعيوب الكلام، مثل: اضطراب النطق والتأتأة، وهي تستعمل مع الأطفال الذين لا يعرفون القراءة والكتابة.

- تساعد في التخلص من تأثير اللهجات المحلية، أو اللغات الأعجمية على نطق بعض الكلمات و الحروف.

- مساعدة الطفل على اكتشاف خطأه بنفسه أثناء تلاوة القرآن، عن طريق سؤاله عن الحرف أو الحركة التي أخطأ فيها، أو العالمة التي لم يراعيها، كما أنها تعتمد على القراءات التموزجية.

6- الأهداف التربوية في المدارس القرآنية والكتاتيب:

1- تربية جيل مسلم على مبادئ القرآن الكريم، من خلال تحفيظه ما تيسر منه و اعتماده منهجاً أخلاقياً ومنهجاً، يبعد الطفل عن الأخلاق الذميمة و العادات السيئة.

2- تنمية روح الاعتزاز لدى التلميذ بإسلامه و هويته و كتاب ربه.

3- فتح آفاق جديدة و واسعة أمام الشباب على معاني القرآن و حقائقه تزيد من طاقاتهم الإبداعية.

4- إمداد الأمة و المجتمع بحفظة القرآن - ليبقى فيها الميزتان - حفظ الصدور، و حفظ السطور.

5- تقديم القرآن الكريم بطريقة مشوقة فيها أسلوب الإغراء، فيها أصالة التراث الإسلامي و خلوده و عظمته جلب انتباه التلاميذ له.

6- تلقين وتعليم الأطفال بعض الأحاديث النبوية الشريفة ذات الصلة الوثيقة بتنظيم الحياة و تقويم السلوك.

7- الاعتناء بالطفل في مرحلة التعليم التحضيري لضمان تواصل القيم الدينية عبر الأجيال و تعليمها منذ الصغر.

8- عمارة المساجد بتلاوة القرآن الكريم، و إحياء رسالة المسجد.

7- دور المدرسة القرآنية في تربية الطفل و حماية هويته الثقافية:

تلعب المدرسة القرآنية والكتاتيب، دوراً متميزاً في تكوين الخلفيّة القرآنية الإسلامية، في عقول كثير من أبناء المجتمع في الدول الإسلامية. وتأتي أهميتها دون غيرها من المؤسسات التعليمية الأخرى، كونها قائمة على تحفيظ القرآن الكريم. و يؤكد علماء التربية أن حفظ القرآن الكريم في المرحلة العمرية الصغيرة يظل ثابتاً في الذاكرة، و يُقْوَم منذ البداية اللسان العربي عند الطفل أو التلميذ، و يقوى مخارج الحروف.

والأهداف التي يسعى إليها المعلمون والمشرّفون على الحلقات القرآنية أهداف نبيلة وغايات سامية، إذ يجب أن يكون الإنسان متوجهاً بقلبه وبجواره إلى الله في كل حركاته وسكناته، لقوله تعالى: "قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذِلِّكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ" (الأنعام: 162-163)، وهذا هدف عام وغاية عظمى يمكن الوصول إليها إذا صنع المعلمون والمشرّفون أهدافاً واتبعوا السبيل نحوها، ويمكن أن تشمل هذه الأهداف تعظيم الشعائر العبادية، و التربية على منهج يستمد أصوله وفروعه من القرآن: منهج معمصوم يقي التلميذ من كل عقيدة فاسدة أو فكرة هدامه أو سلوك منحرف، لقوله تعالى: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء: 82).

إنها فرصة المربين في الحلقات أن يستقوا من هذا المعين لينشئوا الأجيال الصاعدة على فهم كتاب الله تعالى والعمل بأحكامه والتآدب بآدابه. حيث توصلت بعض الدراسات والأبحاث إلى أن ملازمي القرآن هم الأوفر تحصيلاً والأكثر ذكاء والأقوى في مهارات التفكير. وبالتالي على مدرس القرآن الكريم أن يغرس في ذهن الطفل حب حفظ القرآن الكريم، ويعمله أثناء ذلك بالتدريج عظمة الكسب الذي يكسبه الم قبل على كتاب الله من الأجر، تطبيقاً لما رواه ابن مسعود عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قرأ حرفاً من القرآن: كتاب الله، فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها". (المسلم اسماعيل، 1994).

8- التربية الدينية للأبناء وقاية من الانحراف الفكري والسلوكي:

إن انتشار وسائل الإعلام المختلفة، شجع بطريقة غير مباشرة في تفعيل طرق وآليات إفساد الشباب وانحرافهم، هذا ما يبرز أهمية التربية الدينية للأبناء في تثبيت قيم الهوية الأصيلة. وحسب المختصين في التربية الأسرية، فإن التربية الدينية للأبناء ينبغي أن تبدأ في وقت مبكر من عمر الطفل، وتدرج معه حسب مراحله العمرية، وهنا يمكن تطبيق القاعدة التربوية التي مفادها ملاعبتهم سبعاً و مصاحبتهم سبعاً، مشيرة إلى أن معنى المصاحبة أن تتحول علاقة الوالدين مع أبنائهم من علاقة لغتها الأوامر إلى علاقة لغتها الاستشارة وطلب الرأي. ومن هذا المنطلق نلاحظ ارتکاز هذا النوع من التعليم على اتجاهات نفسية دينية يجب أن يتحلى بها معلم القرآن وكذلك الأولياء حيث توفر هذه الاتجاهات جوا خالصاً للعمل والفعالية. وتزرع حب القرآن في نفوس التلاميذ والأطفال وتعريفهم بعظمته وتربيتهم على تعامله، وتعليمهم الحلال والحرام.

9-علاقة التربية عامةً بالتعليم القرآني خاصةً:

للبناه هناك عناصر تصل به إلى الجودة وعناصر تصل به إلى ما فوق الجودة، فإذا فقد شيء من عناصر الجودة يصبح البناء مشوهاً ضعيفاً وهشاً، هكذا هو الجانب التربوي والجانب الديني، فالرتبية عنصر جودة للحلقة القرآنية، وبفقدانها تفقد الحلقة جانبًا رئيسيًا من عناصرها، وعندما تفقد الحلقة القرآنية هذا الجزء التربوي، فإن عدداً من المفاسد والأمور السلبية ستنتج من جراء ذلك منها:

– بناء منهجية غير صحيحة لحفظ القرآن، حيث يكتفى التلميذ بحفظ سور القرآن دون التربية على العمل بما فيها، و هنا تنشأ أجيال تعتقد أن طريق القرآن هكذا، وأن حفظه أولى من تدبره والعمل به، وهذا أحد مسببات اختلال التوازن في بناء الفرد المسلم القارئ للقرآن.

– تنشأ صورة ذهنية لدى التلميذ، بأن القرآن الكريم لا يمكن العمل به أو تحكيمه في شؤون الحياة، أو على الأقل أن ذلك غير مطلوب من المسلم، حيث تمر الكثير من الآيات التي تأمر وتنهى دون أن يكون لذلك أثر في حياته الخاصة، ودون أن يكون للمعلم تنزيل للآيات على واقع حياته.

– يجبربط التحفيظ والتسميع بالتربية والتأديب والتعليم. لأن الأغلبية العظمى من التلاميذ الذين التحقوا بالحلقات القرآنية: هم في مرحلة تعلم، في مرحلة تكوين الشخصية وبنائها وهي الطفولة وتصل حتى المراهقة، هذه فرصة ثمينة، لتربيتهم على كتاب الله في هذه المرحلة لأنه يكون أسهل وأعمق من التربية في غيرها من المراحل العمرية.

10- التربية على مبادئ القرآن الكريم ودورها في الحفاظ على المجتمع:

التربية على هدي القرآن في الحلقات القرآنية، تقوى انتماء الفرد لمجتمعه وتحقق له الأمان والأمان والطمأنينة النفسية، حيث يتعلم الأخوة والإيثار والعدل والأمانة وغير ذلك من القيم الإسلامية، و هذا يجعله يُعمّم هذا الشعور الإيجابي لدى الناس، فيحب لهم ما يحب لنفسه، ومن ثم يتعاون معهم، ويكون عطوفاً على الآخرين. كما أنها تقوى التواصل بين أفراد المجتمع؛ لأن تعاليم القرآن تؤكد التواصل بين الناس وتوثيق الروابط بينهم وإشاعة المودة والحب والتعاون. وتزداد الحاجة إليه في واقعنا المعاصر الذي سادت فيه قيم الحضارة الغربية وطغيان المادة في حياة الناس. لهذا فالرتبية الدينية لها أثراً في حماية المجتمع من الجنوح والجريمة، "وهذا يتحقق القول: "فتح حلقة قرآنية تغلق سجناً". ولو تتبعنا السيرة الذاتية للجanhين و المجرمين في دور الرعاية الاجتماعية و السجون فسنجد أن الملتحقين بالحلقات القرآنية لا وجود لهم غالباً ضمن قائمةهم."

11-رأي الأولياء حول الدور التربوي والتعليمي للمدارس والأقسام القرآنية:

الأولياء دائمًا يتربّبون هذا العطاء الذي ستقدمه لهم هذه الحلقات والمدارس القرآنية، ويستعجلون الثمرة التي يريدون أن يروها بأبنائهم، فمن الأنشطة الاجابية التي تحدث عنها الأولياء نجد:

- وصول أبنائهم إلى مستوى جيد من حفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية الفصحى.
- تعلم أصول الحوار وإلقاء التحية على الأشخاص و عند دخول أي مكان أو المنزل.
- تعلم آداب الأكل، أذكار الصباح والمساء و مجموعة من الأدعية المختلفة (دعاء سقوط المطر، دعاء السفر، صلاة الاستخارا).
- الامتثال لأوامر الوالدين، من خلال تطبيق قوله تعالى " ولا تقل لهم أَفَ وَلا تهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا" ، وبالتالي اكتساب الطفل قيمة الاحترام والطاعة.
- تعلم كتابة الحروف، تركيب كلمات، النطق الصحيح للكلمات، حفظ السور وبعض الآيات القرآنية التي تساهمن في ترسیخ القيم.
- تعلم الأطفال روح المساعدة من خلال مساهمتهم في صندوق التبرعات و طلب المال من أهلهم لأجل ذلك. وهناك بعض الأعمال التي يقوم بها تلاميذ السنة الرابعة والخامسة ابتدائي لخدمة التلاميذ والأطفال الأصغر منهم سنًا، بتوجيهه من المعلم حول هذا العمل ليتقنه و يقوم به على أحسن سورة، مثل:
 - 1- تحفيظ سورة الفاتحة وبعض سور القرآن لمن لا يجيد ذلك.
 - 2- تعليم طريقة الوضوء والغسل والصلاحة لمن لا يعرفها، سواءً أطفال في المدرسة أو المسجد أو كبار السن في الحي أو القرية.
 - 3- توجيه زملائهم وأصدقائهم ليكونوا قدوة حسنة لإخوانهم وأقاربهم، في بر الوالدين وصلة الرحم والالتزام بالسلوك الإسلامي الحميد.

والشيء المؤكّد أن السنوات الأخيرة عرفت توجهاً كبيراً للأسر الجزائريّة لتعليم أبنائها القرآن الكريم، حيث وجدوا في مدارس القرآن مالّم يجدوه في دور الحضانة خاصة من حيث التكاليف المادية كونها مجانية التدريس ولا تتكلّف الأولياء، عكس دور الحضانة التي تتطلّب مبالغ كبيرة وأغلبها ذات طابع تجاري أكثر منه تربوي. إن تعويذ الطفل على المسجد منذ نعومة أظافره يجعله ينمو سليماً دون مشاكل وتعقيبات، و يثبت قلبه على الإيمان و حب الدين واللغة العربية و تناصل في نفسه أمور العبادة و آداب التعامل مع الآخرين، فيصبح عضواً فعالاً في مجتمعه و يصدق فيه

الحاديـث الشـرـيف قال رـسـول اللـه صـلـي اللـه عـلـيـه وـسـلـمـ " سـبـعـة يـطـلـبـهـم اللـه فـي ضـلـلـه يـوـم الـقـيـامـة، مـنـهـم شـاـبـ نـشـأـ فـي عـبـادـة اللـهـ"

خاتمة:

إن اهتمام المدرسة القرآنية بالطفولة و البرنامج القرآني، لم يصل بعد إلى الإحاطة بكل مجالات التربية التحضيرية مثل المجال الحسي الحركي و المجال الوجداني الاجتماعي و المعرفي. لكنه بالمقابل يطور قدرات الطفل في المجال اللغوي و فهم تعاليم الدين الإسلامي و حفظ القرآن الكريم، و ما استيسر من الأحاديث الشريفة، و العمل بها في الحياة اليومية. لكننا لا ننكر الإقبال الكبير على المدارس القرآنية التي وجد فيها الأولياء مكاناً آمناً يحمي أبنائهم من الغزو الثقافي والإعلامي الجديد، و بالتالي فهي توصل لهم القيم الأخلاقية والمعرفية والدينية لأبنائهم منذ الصغر. وعلى الرغم من التحولات العميقـة لـلـأـسـرـ الـجـزـائـيـةـ فإـنـهـ لـمـ يـتـغـيرـ عـنـ بـعـضـهـاـ إـلـاـ حـاجـهـاـ عـلـىـ غـرـسـ الـقـيـمـ وـ الـعـادـاتـ إـلـاسـلـامـيـةـ السـمـحةـ فـيـ شـخـصـيـةـ أـبـنـاهـمـ. وـ لـتـطـوـيرـ وـ تـرـقـيـةـ هـذـهـ مـدـارـسـ الـقـرـآنـ فـمـنـ الضـرـوريـ اهـتـمـامـ الـمـتـخـصـصـينـ فـيـ التـرـبـيـةـ، بـالـبـرـامـجـ الـخـاصـةـ فـيـ هـذـاـ الفـضـاءـ التـحـضـيرـيـ وـ الـاهـتـمـامـ بـجـوـدـةـ النـشـاطـاتـ الـمـقـدـمـةـ مـنـ حـيـثـ الـمـضـمـونـ. بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ إـدـخـالـ نـشـطـاتـ مـخـتـلـفـةـ، مـنـ شـانـهـاـ تـنـمـيـةـ الـمـهـارـاتـ الـلـغـوـيـةـ وـ الـقـدـرـاتـ الـحـرـكـيـةـ، بـحـيـثـ تـأـخـذـ بـعـينـ الـاعـتـباـرـ اـحـتـيـاجـاتـ الطـفـلـ فـيـ هـذـهـ الـمـرـحـلـةـ، دـوـنـ أـنـ نـنسـيـ تـكـوـينـ الـجـيدـ لـلـمـعـلـمـ الـقـرـآنـ بـمـاـ يـخـدـمـ تـجـسـيدـ أـهـدـافـ الـتـرـبـيـةـ التـحـضـيرـيـةـ.

قائمة المراجع:

- 1- القرآن الكريم
- 2- ابن جاب الله التذير، و آخرون، (٠)، "المدارس القرآنية بين الواقع والتطلعات"، ولاية قسنطينة، المجلس الولائي، لجنة الشؤون الدينية والأوقاف.
- 3- الملجم اسماعيل، (1994): كيف نعتني بالطفل وأدبه، دمشق، دار علاء الدين للنشر والتوزيع و الترجمة، الطبعة الأولى
- 4- الوثيقة التربوية المرجعية للتعليم التحضيري، (1990)، المدرسة الفرعية للتعليم المتخصص، المعهد التربوي الجزائري.
- 5- بن سحنون، محمد، (1972)، آداب المعلمين، مطبعة ش. و. ن. ت، الجزائر.
- 6- بوفلجة، غياب، (1984)، "التربية ومتطلباتها"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- 7- صلاح ذياب الهندي، (1990)، "صورة الطفولة في التربية الإسلامية"، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط. ١.
- 8- رابح تركي، (1980)، "التعليم القومي والشخصية الجزائرية"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط. 2.
- 9- زغلول، راغب محمد النجار، (1980)، أزمة التعليم المعاصر - نظرية إسلامية، مكتبة الفلاح، الطبعة الأولى، الكويت.
- 10- محمد سوبق، (1980)، "الأسس النفسية للتكميل الاجتماعي"، دار المعارف، مصر، ط 2
- 11- مصطفى زائد، (1986)، المؤسسات التربوية القديمة بالجلفة، مجلة ثقافية العدد 93، الجزائر.
- 12- مديرية التعليم الأساسي، (2003) الدليل التطبيقي لمنهج التحضر (أطفال ٥-٦) سنوات، المدرسة الفرعية للتعليم المتخصص.
- 13- وهيبة العايب (2005)، "التربية التحضيرية في المدرسة القرآنية وتأثيرها على مهاراتي القراءة و الكتابة"، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر.